المجتمعات الافتراضية والشباب العربي: أي علاقة ؟
دراسة سوسيولوجية لعلاقة الشباب التلمذي والطالبي التونسي بالمجتمعات الافتراضية.

د. حبيب بن بلقاسم
جامعة الملك سعود الرياض
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى تناول موضوع شائك ذا أبعاد متعددة إذ نرمي إلى التعرف على ظاهرة مستحدثة لم تبلور العلوم الإنسانية والاجتماعية بعد حدودها وخصائصها انه "المجتمع الافتراضي" الذي بدأ يشكّل واقعا جديدا يقوم على نمط جديد من الاتصال يعبّر عنه بالاتصال الشبكي.

إنّ البحث في المجتمع الافتراضي يقودنا إلى طرح تساؤلات تفرض نفسها بإلحاح : ما مدى انخراط المواطن العربي في المجتمعات الافتراضية ؟ هل يمكن أن تولد الشبكات الاجتماعية على الإنترنت أشكالا جديدة من العلاقة مع الآخر، هذه العلاقة التي كانت تنسج تفاعلاتها ضمن فضاءات اجتماعية معروفة كالأسرة والشارع والمدرسة والساحات العامة والأسواق...؟ إلى أي حد يمكن لهذه العلاقات الافتراضية الجديدة أن تلبي حاجات الناس وخاصة من الشباب العربي الذي يسعى لسبب أو لآخر أن يتملص من كافة السلط التقليدية ؟

وفي الحقيقة هناك فرضيتان في هذه العلاقات الافتراضية المستحدثة. تنص الأولى على أن الانترنت من خلال ما يوفره من فضاءات حوار بين الناس

يساهم في تطوير الروابط الاجتماعية وتوسيعها. أمّا الفرضية الثانية، وبشكل مفارق، فتقول بأن التطور التكنولوجي نحو المجتمع الافتراضي قد ينذر بتفكك "الاجتماعي" وانهيار القيم ونهاية الحياة الاجتماعية في أنماطها التقليدية.

من هذا المنطلق تقوم دراستنا هذه على بحث ميداني يسعى إلى فهم علاقة فئة الشباب التلمذي والطالبي التونسي بالعالم الافتراضي، الذي اقتحم مجتمعنا بشكل فجئ مباغت، وفعل فعله في ثقافة المجتمع عموما، وفي ثقافة فئة الشباب تحديدا، وفي روابطها الاجتماعية أيضا.

الكلمات المفاتيح :

تقنيات الاتصال – المجتمعات الافتراضية – الشباب العربي – الروابط الاجتماعية – وسائل الاتصال التقليدية – حرية التعبير.

Résumé :

L'explosion gigantesque et rapide des TIC durant ces dernières années fait de l'Internet un média roi ; fort et irréversible. Il est désormais, à la base de l'émergence d'une « nouvelle société virtuelle » dont les composantes se mettent en place, tout en entraînant des bouleversements sans précédent de notre perception du temps et de l'espace.

En effet, le développement rapide des réseaux sociaux sur l'Internet soulève, aujourd'hui, de nombreuses questions, pendant que les réponses proposées restent limitées et non convergentes. Des questions relatives aux effets précis des sociétés virtuelles sur les relations interpersonnelles, la communication, l'intégration et l'exclusion, la confiance et l'identité.

Parmi ces questions on trouve quelques unes qui ont un caractère effectivement radical : Le citoyen arabe est-il concerné par l'utilisation de ces réseaux sociaux sur internent ? L'utilisation de ces réseaux virtuels favorise-t-elle l'interaction entre les gens ? Peut- elle créer de nouvelles formes de

relation avec les autres ? Dans quelle mesure la société virtuelle peut satisfaire les besoins des jeunes arabes ?

En Tunisie, Il existe très peu d'études sur les usages des TIC par les jeunes et surtout en ce qui concerne les usages des réseaux sociaux virtuels.

C'est dans cette optique qu'on cherche à étudier dans cette communication l'impact des usages des réseaux sociaux virtuels sur les attitudes et les comportements des jeunes tunisiens. Notre étude est essentiellement un travail de terrain. Il nous a donc fallu aller à la rencontre des jeunes étudiants, faire parler les uns et les autres pour connaitre leurs attitudes et leurs comportements vis-à-vis d'un phénomène encore naissant qui est la « société virtuelle ».

مقدمة:

يذهب عديد المختصين في مجال الإعلام والاتصال إلى أن الثورة التي يشهدها العالم في مجال الاتصال وتقنيات المعلومات فرضت واقعا جديدا جعل من العالم قرية كونية تنتقل فيها المعلومات بسرعة خارقة. وقد أدت هذه الثورة الاتصالية إلى تغييرات كان لها الأثر المباشر على الأفراد والمؤسسات المكونة للمجتمعات. وقد أصبح الإنترنت في خضم هذا الواقع الجديد ضرورة حياتية لا يمكن الاستغناء عنها، وأصبح استثمار فوائده مطمع الجميع وخاصة من قبل الشباب.

وقد أدى تنامي استخدام الإنترنت إلي شيوع أنماط جديدة ومتنامية من السلوكيات والقيم، تساهم بشكل متسارع في التأثير علي البناء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للدول.[1].

من هذا المنطلق فإن دراستنا هذه تسعى إلى تناول موضوع شائك ذا أبعاد متعددة إذ نرمي إلى التعرف على ظاهرة مستحدثة لم تبلور العلوم الإنسانية والاجتماعية بعد حدودها وخصائصها انه "المجتمع الافتراضي"، "الذي بدأ يشكل واقعا لا واقع له سوى ما تنسجه الثقافة الرقمية بتقنياتها من روابط تعلقت فيها العلاقات الاجتماعية التقليدية بما فيها من نبض للإنسان حسا ومعنى لتبرز روابط اجتماعية افتراضية فضاؤها الشاشة وحدودها الصورة" [2].

إن مجتمعنا الحديث والذي يصفه "جورج غيرفيتش" ب"الجياش"[3] يبدو "انه أكثر عرضة إلى توتر أنساقه الاجتماعية والثقافية الأصلية، لأنه يمر إلى مرحلة لم تحدد كل معالمها بعد. فهو لا يزال في مفترق الطرق، تتجاذبه أطراف مختلفة، دون أن تكون له القدرة الذاتية على حماية منظومته".

I – تساؤلات البحث :

---

[1] بن سعود بن خالد (محمد)، **تقنية الاتصال الحديثة بين القبول والمقاومة**، المملكة العربية السعودية نموذجاً.- مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

[2] **البوعزيزي (محسن)، رئيس الجمعية التونسية لعلم الاجتماع، في "المجتمع الافتراضي" للدكتور جوهر الجموسي، ص 11 , تونس، أوت 2007.**

[3] **جوهر الجموسي.- المجتمع الإفتراضي.- تونس : نوفا برنت، 2007، ص 17.**

من هنا فإن الحياة الاجتماعية بهذا المعطى الجديد، هي حياة رقمية اجتماعية على الانترنت في الفضاء التقني، الأمر الذي يفرض على علماء الاجتماع والأخصائيين في ميدان الاتصال والإعلام أن يوسعوا دائرة اهتماماتهم لتشمل بيئة المجتمع الإنساني الالكتروني. إن علم الاجتماع المعاصر اليوم يدرس الحقيقة الاجتماعية في البيئة الافتراضية من خلال لغة ورموز جديدة رقمية ورمزية[1]. إن هذا الانتقال لا يمثل في الحقيقة هروبًا أو انسحابًا بل يمثل بيئة افتراضية حقيقية تتم خلال فاعلين في الفضاء الالكتروني. وانطلاقا من هذا الفضاء الجديد لمجتمع جديد هناك بعض التساؤلات التي تطرح نفسها بإلحاح :

- ما مدى انخراط المواطن العربي وبالتحديد الشاب التونسي في المجتمعات الافتراضية ؟
- هل يمكن أن تولد الشبكات الاجتماعية على الإنترنت أشكالا جديدة من العلاقة مع الآخر، هذه العلاقة التي كانت تنسج تفاعلاتها ضمن فضاءات اجتماعية معروفة كالأسرة والشارع والمدرسة والساحات العامة والأسواق...؟
- هل يمكن لهذه العلاقات الافتراضية أن تعوض و/أو تكمل العلاقات المباشرة في المجتمع التقليدي؟
- إلى أي حد يمكن لهذه العلاقات الافتراضية الجديدة أن تلبي حاجات الناس وخاصة من الشباب العربي الذي يسعى لسبب أو لآخر أن يتملص من كافة السلط التقليدية ؟

[1] العموش أحمد (فلاح)، **الوجود الاجتماعي في المجتمع الافتراضي، دراسة من منظور سوسيولوجي.**- مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

إذا سلمنا بوجود روابط وعلاقات اجتماعية افتراضية عبر الشبكات الاجتماعية على الإنترنت، فإن السؤال الملح الذي يفرض نفسه هو مدى تأثير هذه الروابط الافتراضية على القيم الأخلاقية السائدة كالحب والصدق والثقة والوفاء والصداقة والأسرة ...؟

II – منهجية البحث :

اعتمدنا في مرحلة أولى من هذا البحث المنهج الوصفي مستخدمين المدخل الوثائقي وذلك لتقييم كافة ما نشر من معارف أو حقائق تتعلق بموضوع البحث إضافة إلى تفسيرها ومقارنتها للوصول إلى تعميمات بشأن هذه الظاهرة المستحدثة التي تتعلق بالمجتمعات الافتراضية.

ثم تدرجنا في مرحلة ثانية من بحثنا إلى اعتماد منهجين متكاملين. يتعلق الأول بالمنهج الكمي الذي حاولنا من خلاله قياس بعض الظواهر التي تتعلق برصد استخدام الشباب التلمذي والطالبي التونسي لتقنيات الاتصال والإعلام والتجهيزات وتواتر الاستخدام ومدى النفاذ إلى خدمات الإنترنت وميادين الاستخدام. بينما حاولنا من خلال المنهج الكيفي تحليل مواقف الشباب العربي (التونسي) من هذه الظاهرة المستحدثة ألا وهي المجتمعات الافتراضية والتعرف خاصة على تمثّلاتهم لدورهم في هذه الفضاءات الإلكترونية الجديدة.

1. الاستبيان :

اعتمدنا في دراستنا هذه على الاستبيان كتقنية للبحث وهي بحسب اعتقادنا التقنية الملائمة التي تمكنا من تحقيق الأهداف التي نصبو إليها في هذا البحث. ويتضمن الاستبيان محورين أساسين. يتعلق الجزء الأول منه بأسئلة تهتم بتحديد أهم استعمالات الإنترنت لدى الشباب التلمذي والطالبي بولاية منوبة

بتونس. بينما طرحنا في المحور الثاني أسئلة تتجاوز الجانب الوصفي لتحليل مواقف المستجوبين ومعرفة تصوراتهم وآرائهم في هذا الخصوص .

وطرحنا في استبياننا مجموعة من الأسئلة المنظمة والمبوبة إلى جملة من المستجوبين. وقد راوحنا بين الأسئلة المفتوحة والأسئلة المغلقة. فالأسئلة المفتوحة كانت مهمة وضرورية من منطلق أنها تفسح المجال للمستجوب كي يعبر بحرية عن آرائه في خصوص قضية تختلف فيها الآراء وتتشعب. وكان من الضروري فتح هذا المجال من الحرية للبحث عن الدوافع والأسباب والانعكاسات والعوائق التي تصاحب ظاهرة المجتمعات الافتراضية في علاقتها بالشباب التونسي. كما رأينا من الضروري طرح هذه الأسئلة المفتوحة لمعرفة خلفيات بعض المواقف والتمثلات المتعلقة بالموضوع. وفي المقابل اشتملت استمارتنا على جملة من الأسئلة المغلقة التي كان الهدف منها قياس بعض الاستخدامات المتعلقة بالانترنت.

2. تكوين العينة :

لابد من الإشارة في البداية إلى أن هذا البحث الميداني هو نتاج مجهود فردي هدفه البحث في علاقة فئة اجتماعية معينة من المجتمع التونسي بالافتراضي، وكان هدفنا في البداية القيام ببحث يشمل عينة ممثلة للشباب التونسي بصفة عامة غير أن عامل الوقت والإمكانيات حالت دون تحقيق هذا الهدف. لذلك اقتصرنا في هذه المرحلة من البحث على عينة من الشباب المدرسي والطالبي بولاية منوبة (الضاحية الغربية لتونس العاصمة).

وقد قمنا في هذا الإطار بتوزيع 350 استبيانا لم نحصل بعد أكثر من شهر إلا على 273 إجابة وهو ما يعني 78 بالمائة من جملة الاستمارات

الموزعة. وبعد التثبت من الإجابات تم حذف 14 منها لأننا قدرنا أنها غير صالحة للاستغلال لأسباب مختلفة. لذلك فإن العينة النهائية لهذه الدراسة هي 259 تلميذا وطالبا من ولاية منوبة ممن يتراوح أعمارهم بين 15 و25 سنة.

وقد أجريت هذه الاستبيانات خلال الثلاثية الأخيرة من السنة الجامعية 2009 وتحديدا في الفترة الفاصلة بين 20 أفريل و29 ماي. وقمنا بإنجاز أغلب الاستجوابات بطريقة مباشرة وجها لوجه، غير أن هناك بعض التلاميذ أو الطلبة من خيروا (بسبب ضغط الامتحانات في تلك الفترة) الإجابة عن الأسئلة بمفردهم وإرجاع الاستبيان في وقت لاحق.

وحاولنا اختيار العينة على أسس علمية وموضوعية تتعلق بمراعاة توزيع الشباب الطالبي والمدرسي وفق مجموعة من المتغيرات التي رأينا أنها يمكن أن تكون دالة في رصد بعض الظواهر المتعلقة بالموضوع.

وقد كان توزيع العينة كالآتي :

الجدول رقم 1 : عينة البحث حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة %
ذكور	104	2،40
إناث	155	8،59
المجموع	259	100

الجدول رقم 2 : عينة البحث حسب السن

السن	العدد	النسبة %
15 – 19 سنة	119	46
20 – 25 سنة	140	54
المجموع	259	100

الجدول رقم 3 : عينة البحث حسب الاختصاص

الاختصاص	العدد	النسبة %
الاختصاصات العلمية	165	70،63
الاختصاصات الأدبية	94	3،36
المجموع	259	100

3. المقابلة والملاحظة المشاركة:

إن رصد ظاهرة علاقة الشباب بالعالم الافتراضي لا يمكن قطعا حصرها فيما يمكن أن تقوله عينة صغيرة من الشباب في فترة محدودة. لذلك اعتمدنا في تحليلنا للمسائل المتعلقة بالموضوع على جملة من المقابلات مع الشباب في إطار عملنا بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار بتونس. كما اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على ما يعبر عنه علماء الاجتماع بالملاحظة المشاركة Observation participante فانتماؤنا إلى الجامعة التونسية كأستاذ باحث في معهد الصحافة وعلوم الأخبار منذ سنوات عديدة ومهمتنا كمنسق للدروس الافتراضية وشهادة الإعلامية والانترنت بالمعهد وكذلك كمسؤول ومنتج "لدرس الكتروني عن بعد" بالجامعة الافتراضية بتونس منذ 2005، كل هذه الوظائف المتعلقة بتوظيف التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال مكنتنا من مواكبة هذه الظاهرة عن قرب والحديث بشكل مباشر (مقابلات شخصية) أو غير مباشر مع العديد من الشباب الطالبي من مختلف الاختصاصات والجهات وبالتالي مكنتنا من التعرف على واقع معقد يتداخل فيه التقني بالإنساني...

وكانت هذه الحوارات والمتابعات والملاحظات مفيدة بالنسبة لنا لإثراء وإصلاح ما جاء في بحثنا الميداني عبر الاستبيان وكذلك عبر المقابلات التي

رغم أهميتها تبقى محدودة ورسمية ومصطنعة في بعض الأحيان.

III – في مفهوم المجتمع الافتراضي :

ظهرت المجتمعات الافتراضية في الثمانينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لاستخدام الإنترنت في الجامعات ومراكز البحث ونتيجة كذلك للشعبية التي اكتسبتها نظم المذكرات الإلكترونية في ذلك الوقت[1].

ويعتبر هوارد رينجولد، أول من قدم تعريفا للمجتمعات الافتراضية في كتابه Les communautés virtuelles الذي نشر في عام 1993 حيث بيّن أن هذه المجتمعات هي [2] : " مجموعات اجتماعية–ثقافية تنشأ عبر الشبكات المعلوماتية وتضم عددا كافيا من الأفراد. هؤلاء الأفراد يشاركون في حوارات لبعض الوقت، ويساهمون بذلك في خلق شبكة من العلاقات الإنسانية على مستوى فضاء الويب " وحسب رينجولد، فإن عناصر المجتمع الافتراضي هي : الأفراد والعلاقات الاجتماعية، والأهداف. هذه العناصر تتفاعل مع بعضها البعض وفق عملية ديناميكية في الزمان. رينجولد أبرز كذلك تنوع الأشكال

---

[1] عبد الرحيم (محمد لطفي)، **المجتمعات الافتراضية والسبل الكفيلة بتطويرها**، مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

[2] Rheingold, Howard.- Les communautés virtuelles (Trad. de l'anglais par LionelLumbroso).Paris: Addison-Wesley France, coll. Mutations technologiques, 1995.

في مداخلة الدكتور محمد لطفي عبد الرحيم .– المرجع السابق.

والأحجام في المجتمعات الافتراضية وأكد على أن هذه المجتمعات تنشأ على أساس العلاقات الشخصية[1].

ويركز تعريف هوارد رينجولد في الحقيقة على المقوّمين الاجتماعي والتكنولوجي لهذه المجتمعات الافتراضية، فهي تنشأ أصلا بفعل الدافع الاجتماعي (تجمعات اجتماعية) في بيئة التكنولوجيا (شبكة المعلومات) بعدد كاف من المشاركين والأعضاء، ويستمرون في تفاعلهم **الاجتماعي رقميا لوقت كاف من الزمن، يكفل لهم بناء شبكات من العلاقات الشخصية والجماعية المتبادلة في الفضاء الافتراضي الكوني**[2].

كيو (مدير قسم الإعلام والمعلوماتية في اليونسكو)[3] أدخل بعدا آخر لهذه التعريفات، حيث أكد على أهمية "البيئات الافتراضية الفردية" التي تشكل المجتمعات الافتراضية. وهذا يعني أنه يجب عدم تجاهل العلاقة بين الإنسان والآلة. هذه العلاقة تتداخل بين الأفراد في ظل العلاقات الاجتماعية.

---

[1] Virtual communities are social aggregations that emerge from the Net when enough people carry on those public discussions long enough ,with sufficient human feelings , to form webs of personal Relationship in cyberspase "Howerd Rheigold, The Electronic version of The Virual Community . Introduction , P. 5(1995) **في دراسة للدكتور رضا عبد الواجد أمين، 2009 ، مرجع سابق الذكر**

[2] رحومة (على محمد)، **تنمية المجتمعات الافتراضية عوامل جديدة للتطوير الشبكي التكنواجتماعي، في دراسة** د. رضا عبد الواجد أمين، مرجع ذكر سابقا.

[3] QUEAU, P., (1993). Le virtuel : vertus et vertiges, Seyssel, Editions Champ Vallon, Institut National de l'Audiovisuel, in, Mohamed Lotfi Abderrahim, op.cit.

أما بيير ليونارد هارفي HARVEY, P.L.[1]، (أستاذ في قسم الاقتصاد، بجامعة الكيبيك في مونتريال – كندا)، فهو يعتبر أن : " المجتمعات الافتراضية هي مجموعات من الأفراد، مختلفة من حيث الحجم والشكل، تتفاعل مع بعضها البعض من خلال نظم الاتصالات العالمية داخل حدود معينة، رمزية أو وهمية ".

ويرى الدكتور رضا عبد الواجد أمين (أستاذ الإعلام بجامعة مملكة البحرين وجامعة الأزهر)[2] أن مفهوم المجتمع الافتراضي ظهر في السنوات الأخيرة ليشير إلى أنماط اتصالية جديدة وواقع إعلامي جديد، يرتبط بظهور وسائل مستحدثة من الإعلام أو ما اصطلح عليه ب(الإعلام الجديد)، الذي يقوم أفراد المجتمع بالدور الأكبر في إنتاجه وبثه على شبكة الويب، وهو الأمر الذي أحدث تغييرات جذرية في العلاقة بين أطراف العملية الاتصالية، وسمح بتبادل الأدوار بين كل من المرسل والمستقبل، وقضى على مفهوم الاتصال أحادي الاتجاه الذي يقوم فيه القائم بالاتصال وحارس البوابة الإعلامية بالتحكم في نوعية وحجم المعلومات التي تمر عبر قنوات الاتصال، لتظهر مفاهيم جديدة متعلقة بالاتصال مزدوج الاتجاه، والاتصال متعدد الاتجاه الذي وفره الإعلام الإلكتروني المنتشر عبر فضاء الإنترنت .

---

[1] HARVEY, P.L., Cyberespace et communautique : appropriation, réseaux, groupes virtuels.- Sainte-Foy : Presses de l'Université Laval, in, Mohamed Lotfi Abderrahim, Ibid.

[2] أمين رضا عبد الواجد ، 2009 ، مرجع سابق الذكر.

ويعتقد أستاذ علم الاجتماع التونسي جوهر الجموسي [1] إن السمة الأساسية التي تطبع المجتمع الافتراضي هي قدرته على أن يصل شبكات مجتمعية أخرى ضمن حركة الأقمار الاصطناعية التي تتزاحم في الفضاء لتصل الأفراد فيما بينهم على ارض المعمورة في لمح البصر وفي سرعة البرق. ويرى أن المجتمع الافتراضي يمثل حاليا اكبر شبكة مجتمعية عبر تاريخ البشرية، تتنوع تركيبته من الأفراد إلى المنظمات والمؤسسات، وهو دائما في نمو وتزايد مستمر [2]. ويذهب الأستاذ الجموسي في كتابه المجتمع الافتراضي، إلى أن هذا الانتقال من المجتمع التقليدي إلى مجتمع افتراضي شبكي قد أدى إلى انتقال فجئ في حركة مجتمعنا قد أربك في الحقيقة التوازنات الاجتماعية وأحدث بلبلة في سيرورة المجتمع وطرح إشكاليات محيرة.

IV- فضاءات المجتمع الافتراضي :

يذهب الأستاذ رضا عبد الواجد أمين إلى أن المجتمع الافتراضي يمثل فضاء رحبا يسمح بممارسة كافة الأشكال الاتصالية التي يمارسها الإنسان في العالم الواقعي، كالمحادثة مع الآخرين، وتكوين صداقات جديدة، وممارسة البيع والشراء، وإنشاء المساحات الخاصة بكتابة الآراء الشخصية والمقالات، ونشر الصور وملفات الفيديو كالمدونات،أو المنتديات، أو ما هو أبعد من ذلك في بعض النسخ المطورة من العوالم الافتراضية كارتداء وتغيير الملابس، والسفر عبر الطائرة، وإنشاء وتشييد البيوت والمنازل الخاصة في العالم الافتراضي. وفي

[1] الجموسي (جوهر).- المجتمع الافتراضي.- تونس : مطبعة نوفا برنت، 2007, ص 15.

[2] المصدر السابق.- ص 16

خضم هذا الواقع الشبكي يمكن تقسيم فضاءات المجتمعات الافتراضية على الإنترنت إلى نوعين اثنين[1]:

1. **النوع الأول من الفضاءات**

هو ذاك الذي يقوم على التفاعل بين الأفراد المشاركين فيه عبر التواصل المباشر والفوري أو غير المباشر ويضمن هذا النوع لمستعمليه إمكانية تبادل الآراء والأفكار والملفات والمعلومات كما يسمح للمشتركين أن يكونوا فاعلين عن طريق التعليق والإضافة والمشاركة الفاعلة. ويندرج في هذا النوع من الفضاءات الافتراضية :

- **الشبكات الاجتماعية الافتراضية:**

وهي المواقع والشبكات الاجتماعية الإلكترونية التي انتشرت في السنوات القليلة الماضية التي تدعم التواصل مع الأصدقاء القدامى والبحث عن أصدقاء جدد، وتكوين المجموعات المختلفة التي تهتم بموضوعات متشابهة. ولعل أهم هذه الشبكات هي شبكة الفيسبوك Facebook وهي شبكة اجتماعية على الانترنت أنشأها الشاب مارك زوكربيرج من مساكن الطلبة في جامعة هارفارد في شباط (فبراير) عام 2004، وكان الهدف منه، إنشاء شبكة اجتماعية لزملائه في الجامعة حيث يتبادلون من خلالها أخبارهم وصورهم وآراءهم.

وأمام ازدياد شعبية الموقع كان من المنطقي أن يقرر زوكربيرج الذي عرف بولعه الشديد بالانترنت، أن يفتح التسجيل والمشاركة في الموقع لكل من

[1] المرجع السابق .-

يرغب في ذلك. ومنذ ذلك الحين والأرقام تقفز سريعاً بعدد المشتركين، فقد أصبح ترتيبه الرابع عالميا على مقياس إليكسا لترتيب المواقع العالمية بعد كل من ياهو وجوجل ويوتيوب[1].

- **المدونات les blogs :**

المدونة الإلكترونية هي مجموعة من المعلومات المنشورة على صفحات موقع واب، تسمح برمجتها التقنية لأي أحد بإرسال معلومات إلى ذلك الموقع بصفة تلقائية وتفاعلية ثم تدرج بصفة منظمة تصاعديا من الأحدث إلى الأقدم. وتقع عملية تحبين المدونات بصفة دورية أو يومية وذلك باستعمال البرامج الحاسوبية الخاصة بذلك وهذا الأمر لا يستوجب أي معرفة تقنية متخصصة من كاتب المدونة بالبرمجة أو تعقيدات التحيين وصيانة المدونة2.

وقد عرفت موسوعة ويكبيديا الحرة الإلكترونية3 المدونة على أنها تطبيق من تطبيقات الانترنت، يعمل من خلال نظام لإدارة المحتوى، وهو في أبسط صوره عبارة عن صفحة واب تظهر عليها تدوينات مؤرخة ومرتبة ترتيبا زمنيا تصاعديا، تصاحبها آلية لأرشفة المداخلات القديمة.

---

1 خلف علي الخلف ، **الجمهورية العالمية الافتراضية : الفايسبوك الشبكة الأسرع نمواً وتأثيراً في الانترنت**، الحوار المتمدن- العدد: 2273 - 2008 / 5 / 6-. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=133641

2 **عبد اللطيف (سنية)، استخدامات المدونات الالكترونية في تونس** ، تونس : رسالة ماجستير في علوم الإعلام و الاتصال بمعهد الصحافة و علوم الأخبار تونس، 2012.

3 **ويكيبيديا هى موسوعة حرة، متعددة اللغات، يساهم فيها الملايين من المتطوعين حول العالم. تكمن قوة موسوعة ويكيبيديا في نظام إدارة المحتوى المستعمل فيها. وهو نظام الويكي ، ويسمح هذا النظام بالقيام بتعديلات وإضافة الصفحات بحرية كاملة باستثناء عدد قليل من الصفحات المحمية.**

- **المنتديات / les forums :**

هي عبارة عن برامج خاصة تعمل على مواقع إعلامية أو أي مواقع أخرى ذات طابع خاص أو عام على شبكة الانترنت. وتسمح المنتديات بعرض الأفكار والآراء في القضايا أو الموضوعات المطروحة للمناقشة على الموقع، وإتاحة الفرصة للمستخدمين أو المشاركين بالرد عليها ومناقشتها فورياً، سواء كان ذلك مع أو ضد الآراء أو الأفكار المطروحة، دون قيود على المشاركين باستثناء القيود التي يضعها المسؤولين على المنتدى من خلال نظام الضبط والتحكم المقام على البرنامج. وتتطلب المشاركة في هذه المنتديات تسجيل بعض البيانات الشخصية للمشتركين فيها أولاً وبصفة خاصة الاسم وكلمة المرور وعنوان البريد الالكتروني[1] ويحق للزائر بعد ذلك طرح المواضيع والأسئلة التي تهمه ويريد طرحها، بالإضافة إلى إمكانية التعليق على الموضوعات والآراء المطروحة. وقد تشمل المنتديات وساحات الحوار موضوعاً واحداً كالأمن مثلاً، أو عدة مواضيع كالاقتصاد والسياسة والتاريخ. وهي إحدى الوسائل الجديدة لتشكيل الرأي العام تجاه القضايا المختلفة [2].

- **غرف الدردشة :**

غرف الدردشة هي تجمع بشري الكتروني يبدأ بين اثنين أو أكثر ويتم الاتصال والتفاعل بينهم بشكل مباشر وحي سواء بالصوت أو الكلمة فقط، أو

---

[1] عبد المجيد (محمد) .- الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت.- القاهرة : عالم الكتب، 2007.- ص 262 – 263.

2 الهماش (متعب بن شديد بن محمد) .- تشكيل الرأي العام الالكتروني.- مداخلة بمؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15 / 17 مارس 2009.

بالصوت والصورة والكلمة بشرط وجود اللوازم الضرورية، ومنها جهاز الكمبيوتر والاتصال عبر الانترنت والكاميرا لدى جميع أطراف المحادثة [1].

وتستخدم غرفة الدردشة أو غرف المحادثة في المقام الأول لوصف أي شكل من أشكال المقابلات علي الانترنت التي تكون في شكل حوارات بين أشخاص بصفة متزامنة. وتعتبر الدردشة علي الانترنت وسيلة اتصال بين الأفراد الموجودين في نفس غرفة الدردشة عن طريق إرسال الرسائل النصية. وتستخدم بعض غرف الدردشة مثل ياهو كل من الرسائل النصية والصوتية في وقت واحد. وأقدم شكل من أشكال غرف الدردشة هي التي تعتمد الرسائل النصية.

وقد أصبحت اليوم أغلب غرف الدردشة تتضمن وسائل الاتصالات السمعية والبصرية، بحيث يمكن للمستخدمين في الواقع أن يروا بعضهم البعض.

- **مجموعات الأخبار :**

تعدّ مجموعات الأخبار شكل من أشكال المناقشة عبر الإنترنت حيث يجتمع مجموعة من الناس لديهم اهتمامات مشتركة للحديث عن كل شيء بداية من البرامج إلى القصص الكوميدية والشؤون السياسية. على خلاف رسائل البريد الإلكتروني التي تكون ظاهرة فقط للمرسل والمستلمين الذين تم تحديدهم. ويمكن قراءة رسائل مجموعة الأخبار بواسطة أي شخص يقوم بعرض المجموعة التي يتم نشر هذه الرسائل فيها. ويعتبر إنشاء رسالة إخبارية مثل كتابة رسالة بريد إلكتروني، لكن في هذه الحالة تتم الكتابة لجمهور أكبر. وبدلاً من إرسال الرسالة

[1] المرجع السابق.-

إلى مجموعة صغيرة من المستلمين، يتم نشرها إلى مجموعة أخبار عامة، ويمكن أن يقرأها أي شخص يقوم بالاشتراك في مجموعة الأخبار هذه .[1]

2. النوع الثاني من فضاءات المجتمع الافتراضي

هو ذاك الذي نسميه بالمجتمعات الافتراضية الكاملة على شبكة الواب وهي كما يشير الدكتور رضا عبد الواجد أمين، تلك المواقع الإلكترونية التي تحاول محاكاة العالم الواقعي من خلال إتاحة عدد من الخيارات المتعددة أمام المستخدمين تمكنهم من ممارسة تفاصيل متعددة وكأنهم في العالم الحقيقي من بيع وشراء وارتداء ملابس والسفر عبر الطائرات وغيرها وجنى الأموال وإنشاء البيوت والشركات، بما في ذلك من إنشاء مجتمعاتهم الخاصة بنشر أفكارهم وتبادل الاهتمامات المشتركة مع آخرين من خلال إمكانية إنشاء المدونات والصفحات الخاصة بالمستخدمين. ومن الأمثلة على هذا النوع من المجتمعات الافتراضية [2]:

- مجتمع الحياة الثانية :

هي حياة افتراضية ثلاثية الأبعاد، انطلقت على شبكة الإنترنت عام 2003، وتم تطويرها من قبل شركة لندن المحدودة، وهي شركة أمريكية خاصة مقرها سان فرانسيسكو، ويقول الموقع مجتمع الحياة الثانية إن هذا العالم الافتراضي المعروف بالحياة الثانية أنشأه سكانه، وجذب الأنظار في أواخر 2006، وبدايات 2007 . وهو العالم الموازي الذي بدأت فكرته كلعبة إلكترونية

---

[1] ما هي مجموعات الأخبار.- موقع ميكروسوفت الشرق الأوسط.- على العنوان التالي : http://windows.microsoft.com/ar-XM/windows-vista/What-are-newsgroups تاريخ الزيارة : 05 / 10 / 2009.

[2] أمين (رضا عبد الواجد) .- مرجع سابق الذكر.-

من ألعاب الفيديو في الإنترنت عام 1999، ثم تحولت إلى مشروع حياة افتراضية تقوم على محاكاة العالم الحقيقي[1] .

وتقوم فكرة هذا المجتمع المتكامل في شبكة الويب على أن يقوم الساكن أو المستخدم باختيار اسمه في هذه الحياة بدلا من الحياة الواقعية التي لا يمكنهم فيها اختيار أسمائهم، وكذلك اختيار الشخصية الافتراضية ذات الملامح، وقد تكون قريبة من الملامح الحقيقية في العالم الواقعي وقد لا تكون، ثم يمارس الحياة بكافة تفاصيلها كما هي في النسخة الحقيقية، فيستطيع المستخدم المشي والطيران والسباحة والتفاعل مع الآخرين بكافة صوره، بما في ذلك التعاملات المالية.

وطبقا لتقديرات مارس 2008 فإن 13 مليون شخص سجلوا انضمامهم لعالم الحياة الثانية الافتراضي، وسارعت كثير من الدول في افتتاح سفارات لها في الحياة الثانية، وتعد السويد أول دولة تقوم بذلك، كما يوجد العديد من الشركات التي قامت بشراء جزر وتقوم من خلال موقعها التسويق لمنتجاتها والبيع بالفعل للعملاء من قاطني الحياة الثانية، مثل شركة نيسان، وشركة أديداس، وتويوتا، وفنادق ستاروود هوتليس [2].

ومن المواقع والمؤسسات الإعلامية العربية فإن أول مؤسسة تشيد جزيرة في تلك الحياة (إسلام أون لاين) . وربما يعود قلة نسبة المؤسسات العربية والأفراد العرب في هذا المجتمع الافتراضي كونه – حتى الآن – لا يدعم اللغة

[1] المرجع السابق.-

[2] المرجع السابق .-

العربية، ولا يحمل خيارات التعامل بها من خلال الواجهة الرئيسية للموقع الذي يضم مجتمع الحياة الثانية[1] .

V – البحث الميداني : قراءة في علاقة الشباب التونسي بالمجتمع الافتراضي

نحاول في الفقرات الموالية أن نستعرض باختصار أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث الميداني الذي حاولنا أن نرصد فيه استخدامات الشباب التلمذي والطالبي بولاية منوبة (تونس) للإنترنت بصفة عامة وعلاقته بالمجتمعات الافتراضية بصفة خاصة ومعرفة أثر هذه الثقافة الرقمية الجديدة في سلوكاته. كما سنحاول معرفة اثر الافتراضي في الروابط الاجتماعية التقليدية، من خلال ضمور أشكال التبادل الاجتماعي وما فيه من تفاعلات رمزية تستند إلى العلاقات الاجتماعية المباشرة.

1. تونس : فضاء مناسب للتعرض إلى التكنولوجيات الحديثة للاتصال

بينت الدراسة السوسيولوجية التي قمنا بها أن أغلب الشباب المدرسي والجامعي بتونس يولون أهمية كبرى للتكنولوجيات الحديثة للاتصال ويتجلى هذا الاهتمام من خلال جملة من المؤشرات. فقد صرح 63 % من الذين شملهم الاستجواب أنهم يملكون حاسوبا بمنازلهم وصرح (5،76%) من العينة أن مؤسساتهم العلمية (المعهد أو الجامعة) تضع تحت تصرفهم قاعات مخصصة للإعلامية والانترنت.

وتعتبر نسبة امتلاك الحواسيب بالنسبة للعينة مرتفعة إذا ما تمت مقارنتها بنسبة انتشار الحواسيب لدى الأسر التونسية، حيث لا تتجاوز 13.1 % إلى موفى سنة 2008 [2]. أما بالنسبة إلى عدد الحواسيب لكل 100 ساكن، فهي

---

[1] المرجع السابق .-

[2] نسبة الأسر المجهزة بحاسوب.- وزارة تكنولوجيات الاتصال التونسية.- http://www.infocom.tn/index.php?id=98

في تونس بلغت 10.58% إلى حدود شهر جويلية من سنة 2009 . ولئن بلغت نسبة امتلاك عائلات الطلبة والتلاميذ المبحوثين لجهاز الحاسوب 63 % فإن نسبة توفر الحواسيب في الجامعات التونسية قد بلغت في بداية 2009 نسبة 100%[1].

من جهة أخرى صرح أغلب المستجوبين الذين يمتلكون أجهزة كمبيوتر إنهم مجهزون بالمعدات المتعلقة بالإعلامية كالفلاش ديسك (71%) وآلة النسخ (26،66%). وفي المقابل تظل نسبة التلاميذ والطلبة المالكين لآلات الكاميرا (35%) والسكانير scanner (11،14%) قليلة ومحتشمة مقارنة مع بقية المعدات الإعلامية الأخرى.

أمّا بالنسبة للربط بشبكة الإنترنت فقد أعلن حاولي (54%) من الذين يمتلكون أجهزة حاسوب بمقر سكناهم أنهم مرتبطون بشبكة الانترنت. وهي نسبة تتجاوز مرة أخرى نسبة الأسر التونسية المرتبطة بشبكة الانترنت، حيث لم تتجاوز 5 % في موفى سنة 2008[2]. ورغم أن نسبة الأسر التونسية المرتبطة بشبكة الانترنت تعد محدودة فإن هذه المحدودية لا تعكس نسبة مستعملي الإنترنت في تونس، حيث ارتفع عدد مستعمليه سنة 2009 إلى أكثر من ثلاثة ملايين مستخدم من مجموع السكان التونسيين[3] أي ما يعادل تقريبا ثلث السكان.

2. الشباب التونسي والانترنت :

تبين الدراسة الميدانية أن قرابة 60% من أفراد العينة يستخدمون الانترنت بصفة منتظمة ويومية، في حين عبر حاولي ثلث المستجوبين أنهم

تاريخ الزيارة 28 / 09 / 2009

[1] **إحصائيات مستقاة من الموقع الرسمي لوزارة تكنولوجيات الاتصال التونسية، آخر زيارة 05 أكتوبر 2009، www.infocom.tn**

[2] **المرجع السابق .-**

[3] **المصدر السابق .- 05 أكتوبر 2009، www.infocom.tn**

يستخدمون الانترنت أسبوعيا، في حين نلاحظ أن أقلية ضئيلة من الشباب المدرسي والجامعي عبرت عن كونها لا تستخدم الانترنت إلا في مناسبات قليلة .%6.56

الجدول رقم 4 : نسبة إبحار الشباب المدرسي والجامعي عبر الانترنت

معدل استخدم الانترنت	العدد	النسبة %
يوميا	154	59.46
أسبوعيا	80	30.88
أحيانا	17	6.56
أبدا	8	3.10
المجموع	259	100

وقد كشفت الدراسة عن أن الذكور أكثر من الإناث استخداماً للانترنت، حيث أعلن (70.19%) من الذكور أنهم يستخدمون الانترنت يوميا مقابل (52.25%) بالنسبة للإناث. وفي السياق نفسه بينت دراستنا الميدانية أن الشباب الأكبر سنا والذين هم في جزء كبير منهم من الطلبة هم الأكثر انتظاما في استخدام الإنترنت حيث عبر (62.14%) من الفئة العمرية 20 – 25 سنة أنهم يبحرون على الانترنت يوميا في حين لم تتجاوز هذه النسبة 56 % بالنسبة للفئة الأقل عمرا (15 – 19 سنة).

ويبدو أن عدم امتلاك 37 % من أفراد العينة لأجهزة حاسوب بمحل سكناهم وافتقار أكثر من 66% من العينة المستجوبة لربط بالانترنت في منازلهم لم يمنعهم من الإبحار في الشبكة عبر الفضاءات العمومية للانترنت، بحثا عن

فرص وإضافات لم يجدوها في السكن العائلي، أو السكن الجامعي، أو حتى في مؤسساتهم الجامعية خارج إطار الدروس.

وقد بين أستاذ علم الاجتماع جوهر الجموسي في دراسة ميدانية قام بها في سنة 2004 أن هذه المساحات التي يطلقون عليها أسماء مختلفة، مثل "نوادي الانترنت"، مراكز الانترنت"، "مقاهي الانترنت" أو"المراكز العمومية للإنترنت"... بدأت تكتسح المساحات، وتؤسس لمساحات جديدة للمعرفة ولتشكيل ثقافة المجتمع التونسي. وبدأت هذه المحلات تفتك لها موقعا بين المحلات التجارية في أفضل المناطق واكبر الشوارع في العاصمة والمدن الكبرى، وحتى في القرى الصغيرة.

وتنافس هذه المحلات، من حيث العدد، شبكة دور الشباب والثقافة والمكتبات العمومية، التي تم بعثها في تونس على امتداد أكثر من خمسين سنة من الاستقلال. ويبدو أن هذه المحلات قد كسبت معركة المنافسة في استقطاب الجمهور، والشباب منه خاصة، على حساب الفضاءات التقليدية للثقافة ولممارسة النشاط الشبابي، التي تشهد تراجعا ملحوظا لإقبال الشباب عليها[1]. كما بين الأستاذ الجموسي أن أكثر من 60% من الطلبة في تونس يرتادون هذه الفضاءات العمومية للإنترنت.

3. مدى انخراط الشباب في الشبكات الاجتماعية الافتراضية:

يبين الجدول رقم (5) أن أكثر من ثلثي عينة البحث هم أعضاء في إحدى الشبكات الاجتماعية المختلفة، وكشفت الدراسة أن عضوية الذكور في هذه

[1] انظر : وزارة الشباب والطفولة و الرياضة بالجمهورية التونسية، الاستشارة الشبابية لسنة 2000، شباب الحوار... شريك في القرار، تقرير حول عملية سبر الآراء، تونس، 2001، ص 131، في كتاب المجتمع الإفتراضي، الجموسي ص 134.

الشبكات الاجتماعية الافتراضية قد فاقت بقليل نسبة عضوية الإناث، حيث بلغت النسبة 64.42 % لدى الذكور مقابل 61.29% لدى الإناث.

الجدول رقم 5 : عضوية الشباب في الشبكات الاجتماعية الافتراضية

العضوية في الشبكات الافتراضية	عدد الذكور	النسبة %	عدد الإناث	النسبة %	العدد الجملي	النسبة العامة
نعم، منخرط في إحدى الشبكات	67	64.42	95	61.29	162	62.55
لا , لست عضوا في إحدى الشبكات	37	35.58	60	38.71	97	37.45
المجموع	104	100	155	100	259	100

وأظهرت الدراسة الميدانية أن نسبة العضوية في الشبكات الافتراضية لدى الشباب الأصغر سنا ونعني بذلك الفئة العمرية (15 – 19 سنة) وهم أغلبهم من التلاميذ بالمعاهد الثانوية قد فاقت نسبة الشباب في الفئة الثانية من 20 – 25 سنة، حيث بلغت هذه النسبة 64.7 % للفئة الأولى و60.7 % للفئة الثانية.

الجدول رقم 6 : توزيع نسب العضوية في المجتمعات الافتراضية حسب متغير السن

العضوية في الشبكات الافتراضية	15 – 19 سنة	النسبة %	20 – 25 سنة	النسبة %	العدد الجملي	النسبة العامة
نعم، منخرط في إحدى الشبكات	77	64.7	85	60.7	162	62.55
لا , لست عضوا في إحدى الشبكات	42	35.3	55	39.3	97	37.45
المجموع	119	100	140	100	259	100

الجدول رقم 7 : توزيع الشبكات الاجتماعية المستخدمة لدى الشباب

الشبكات الاجتماعية الافتراضية	العدد	النسبة %
الفيسبوك	127	78.40
شبكات أخرى :	35	21.60
المجموع	162	100

وبينت نتائج الاستبيان أن أغلب الأعضاء في هذه الشبكات هم من المنخرطين في شبكة الفيسبوك (78.4%) بينما لم تتجاوز نسبة الذين ينخرطون في شبكات أخرى سوى (21.6%). ويرجع أحد الخبراء نجاح الفيسبوك رغم المنافسة لعشرات المواقع للشبكات الاجتماعية إلى عدد التطبيقات التي يضيفها الفيسبوك بشكل متواصل وإلى التطوير المستمر الذي يلحظه المستخدم بشكل شبه يومي؛ وقد بلغت التطبيقات الموجودة حتى الآن حوالى 20 ألف تطبيق. والميزة الأخرى التي ساهمت في نجاح الفيسبوك هي تعدد خيارات الخصوصية فالمشترك يستطيع أن يشرك في صفحته كل أعضاء الشبكة التي اختار الانضمام إليها ويستطيع أن يقلص ذلك إلى أصدقاء محددين ويمكنه أن يجعل أي إضافة خاصة به أو بآخرين محددين أو يفتحها لعموم الشبكة. هذه المرونة في تدرج الخصوصية جعلت الكثيرين يشتركون ويضعون ما يشاؤون من

صور ونصوص وفيديو ويختارون من يحق له الاطلاع أو المشاركة في التعليق عليها[1].

الجدول رقم 8 : توزيع استخدام الدردشة في صفوف الشباب

استخدام الدردشة من الذين يبحرون على الإنترنت	العدد	النسبة %
دائما	47	18.72
غالبا	114	45.42
أحيانا	79	31.47
أبدا	11	4.39
المجموع	251	100

نلاحظ من خلال الجدول رقم (8) أن أكثر من 64 % ممن يبحرون على الإنترنت من الطلبة والتلاميذ الذين شملتهم الدراسة أعلنوا أنهم يستخدمون الدردشة دائما أو غالبا. ومن المهم أن نشير إلى أن نتائج بحثنا أبرزت فوارق دالة فيما يتعلق بمتغيرات السن والجنس والاختصاص الدراسي. حيث بلغت نسبة الذين يستخدمون الدردشة دائما أو غالبا (72%) لدى الذكور مقابل قرابة 51% لدى الفتيات. كما بلغت نسبة الذين يستخدمون الدردشة دائما أو غالبا أكثر من 67 % لدى الشبان الذين ينتمون إلى الاختصاصات الأدبية مقابل 62 % لدى التلاميذ والطلبة الذين ينتمون إلى الاختصاصات العلمية.

[1] خلف علي الخلف.-الجمهورية العالمية الافتراضية : الفيسبوك الشبكة الأسرع نمواً وتأثيراً في الانترنت.- الحوار المتمدن - العدد: 2273 - 2008 / 5 / 6 .- مقال متوفر على الرابط التالي : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=133641

4. عوامل الجذب إلى المجتمعات الافتراضية

كشفت دراستنا الميدانية أن السبب الأول الذي يجذب الشباب التونسي إلى الفضاءات الإلكترونية هو التواصل والدردشة والانفتاح على الآخرين وذلك بنسبة 54.2 %، وتعزي نسبة لا بأس بها من العينة 43 % انجذابها للمجتمع الافتراضي لكونها تستطيع أن تعبر عن مشاغلها بحرية دون قيود أو رقابة. كما يرى 38.6 % بأن ولوجهم للمجتمع الافتراضي يشعرهم بالاستقلالية والأمان، ويعتقد 34.3 % بأن سبب انجذابهم للمجتمع الافتراضي هو التعرف على أشخاص لا يمكنهم معرفتهم في المجتمع الواقعي.

على صعيد آخر، يرى 23.5% من أفراد العينة أن سبب اندفاعهم إلى المجتمع الافتراضي وخاصة من خلال مشاركتهم في الشبكات الاجتماعية هو البحث عن الإثارة والإغراء واللذة. ويبرز هذا الدافع أكبر لدى الذكور، باعتبار تأكيد أكثر من 30 % منهم لهذا الاختيار مقابل 18.1 % للإناث. كما لاحظنا في ذات الاتجاه أن الأحدث سنا هم الذين يبحثون أكثر على الاستمتاع والإغراء واللذة باعتبار أن 26.1 % من الفئة العمرية 15– 19 سنة أكدوا على هذه المسألة مقابل 20% فقط للفئة العمرية 20 – 25 سنة.

الجدول رقم 9 : عوامل الجذب إلى المجتمع الافتراضي

	العدد	النسبة %	الترتيب
اشعر بالاستقلالية والأمان في المجتمع الافتراضي	97	38.6	3
التواصل والدردشة والانفتاح على الآخرين	136	54.2	1
أستطيع أن أعبر عن مشاغلي بحرية	108	43	2
الإثارة والإغراء واللذة	59	23.5	6
أتعرف على أشخاص وثقافات لا يمكنني معرفتها في الواقع	86	34.3	4
المجتمع الافتراضي وسيلة للابتعاد عن مشاكل العالم الحقيقي	47	18.7	7
الأخبار والبحث عن معلومات	77	30.7	5
إجابات أخرى	28	11.1	8

ملاحظة : نسبة الإجابات تجاوزت 100% لأنه سمح لأفراد العينة بإعطاء إجابات متعددة

نستخلص إذن من كل هذه الأسباب المقدمة من الشباب لتبرير انجذابهم إلى العالم الإلكتروني أن هذا التحمس للإبحار المتواصل يتجاوز "مجرد العلاقة التقنية التي يقيمها الفرد مع الآلة لتصبح ظاهرة اجتماعية كلية، تستدعي أبعادا مختلفة، ذهنية وبدنية ونفسية واجتماعية وانفعالية. كل هذه الأسباب تتداخل لحظة الإبحار، وتلزم الفرد بتسليم أمره لسحرية هذا العالم الخيالي" [1]، الذي يصنع له "مدينة فاضلة " لطالما حلم بها، وعانقها بمخياله.

5. تفاعل الشباب مع المجتمعات الافتراضية

تبين الدراسة أن النسبة الأكبر من الشباب التونسي المدرسي و الجامعي والذين شملهم الاستجواب يتعاملون في العالم الافتراضي مع أشخاص حقيقيين وكذلك أشخاص لا يعرفونهم في الواقع وقد تم التعرف عليهم من خلال الدردشة

[1] الجموسي (جوهر).- مرجع سابق الذكر.- ص 177.

والإبحار على الإنترنت، حيث عبر 46.60% من أفراد العينة أنهم يعرفون أصدقاء حقيقيين وغير حقيقيين في العالم الافتراضي ويتعاملون معهم (بدون احتراز أو حذر) مقابل 23.10% فقط للذين يتعاملون إلا مع الأشخاص الذين يعرفونهم في الواقع.

الجدول رقم 10 : نوعية الأصدقاء في المجتمع الافتراضي

نوعية الأصدقاء في المجتمع الافتراضي	العدد	النسبة %
أصدقاء حقيقيين (في الواقع) وأتفاعل معهم	58	23.10
أصدقاء حقيقيين (في الواقع) وغير واقعيين[1] وأتفاعل معهم	117	46.60
أصدقاء حقيقيين (في الواقع) وغير واقعيين وأتفاعل معهم ولكن بحذر	23	9.16
أصدقاء غير حقيقيين (واقعيين) وأتفاعل معهم	37	14.75
أصدقاء غير واقعيين وأتفاعل معهم بحذر	14	5.60
أصدقاء غير حقيقيين (واقعيين) ولا أتفاعل معهم	2	0.79
المجموع	**251**	**100**

كما أفضت نتائج الاستمارة إلى أن نسبة الذين يعتقدون أن المجتمع الافتراضي هو مجتمع حقيقي وواقعي لم تتجاوز 22.7 %، بينما عبر أكثر من 60 % من أفراد العينة أن المجتمع الافتراضي يتأرجح بين الواقعية والخيال. واعتبرت نسبة قليلة 15.5% أن المجتمع الافتراضي هو مجتمع خيالي لا يعكس واقع الحياة الاجتماعية الحقيقة.

[1] نقصد بالأصدقاء غير الواقعيين : الأشخاص الذين لا يعرفهم المستجوب في الواقع، و تم التعرف عليهم من خلال الإبحار في الإنترنت.

ورغم أن نسبة الذين يعتقدون أن المجتمع الافتراضي هو مجتمع حقيقي وواقعي لم تتجاوز 22.7 % فإن أغلبية أفراد العينة (58.6%) يشعرون بأن تفاعلهم مع العالم الافتراضي يتوافق مع تفاعلهم مع المجتمع. إن في هذه المفارقة بين الوعي بالشيء وممارسة نقيضه لدى الشاب التونسي والعربي بصفة عامة أكثر من معنى.

وقد يعود هذا الاندفاع إلى العالم "الخيالي" إلى رغبة داخلية لدى الشباب في الهروب من واقع قد لا يتماشى وتطلعاته والانفتاح أكثر على عالم خارجي وفي ربط علاقات مع الآخرين أينما كانوا وفي الحوار عبر نوافذ الحوار المباشر أو غرف التخاطب والدردشة، حتى ولو كانت هذه الفضاءات غير واقعية ولا تعكس الواقع المعيش.

إن الشاب الذي يختار الإبحار في العوالم الافتراضية بما تحمله من حلم وخيال قد يكون بسبب الضيق الذي يعيشه في عالمه المحسوس. هذا العالم الذي يخضع إلى نسق قيمي تقليدي تتكاثف فيه سطوة السلطة الإكراهية وما فيها من ضغوط معيارية. هذه الضغوط التي تبدأ من الأسرة وتنتهي بأغلب المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تكون المجتمع الحقيقي. من هذا المنطلق ينحسر التواصل والتبادل الثقافي التقليدي السائد، ليحل محله تبادل آخر بديل يمارس هو الآخر سلطته لكن من زاوية لها خصوصيتها ؟؟؟

لا شك أن عددا كبيرا من الشباب العربي "المثقف" أصبح يطمح من خلال مشاركته في شبكات التعارف الاجتماعية مثل الفيسبوك والمجموعات التي تتشكل فيها والمنتديات والمدونات التي لاقت إقبالا هائلا في فترة سابقة أصبح يطمح في إعادة صياغة العلاقة بين الأنظمة المختلفة في المجتمع. إن العالم الافتراضي رغم جانبه الخيالي أضاف بالنسبة لأغلبية من الشباب العربي أبعادا جديدة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد داخل النظام، كما أن العالم الافتراضي

أصبح يستخدم لحشد الجماهير المتفرقة جغرافيا وعقائديا للضغط على الأنظمة السائدة في المجتمع الحقيقي.

جدول رقم 11 : تأثير المجتمع الافتراضي على العلاقات الاجتماعية الواقعية

الشعور بوجود المجتمع الحقيقي أثناء التفاعل مع المجتمع الافتراضي	العدد	النسبة %
نعم، أشعر بالمجتمع الحقيقي	99	39.40
أشعر إلى حد ما بوجود المجتمع الحقيقي	127	50.60
لا، لا أشعر بالمجتمع الحقيقي	25	10.00
المجموع	**251**	**100**

عبرت أقلية من أفراد العينة 39.4 % عن كونها تدرك بشدة وجود عالم حقيقي من حولها عند تفاعلها مع المجتمع الافتراضي بينما عبر 50.6 % أنهم يشعرون جزئيا بوجود المجتمع الحقيقي عند إبحارهم في الإنترنت.

إن هذه النسب ذات دلالة وتثير عددا من التساؤلات حول تأثيرات تفاعل الشباب العربي مع هذه العوالم الافتراضية.ثم هل أن هذه التفاعلات تصيب الشباب بالعزلة الاجتماعية من خلال الاستغراق في عملية الاتصال ؟ أم أنها تعمل على كسر حواجز هذه العزلة من خلال التفاعل الافتراضي المتمثل في المحادثة والمشاركة الفعالة وممارسة كافة أنماط السلوك الإنساني في العالم الواقعي ونقله إلى العوالم الافتراضية ؟

VI – بين إرهاصات تفكك "الاجتماعي" والمفارقات الاجتماعية للافتراضي

أفضت دراستنا الميدانية حول علاقة الشباب العربي التونسي بالمجتمعات الافتراضية إلى جملة من النتائج ذات دلالة نستعرضها في النقاط الآتية :

- إن المؤشرات التي تم استعراضها من خلال امتلاك الشباب التونسي لتكنولوجيات الاتصال الحديثة وتوسع الربط بشبكة الإنترنت تبيّن التطور الكبير والسريع نحو كل ما هو رقمي. ويندرج ذلك في الحقيقة في إطار إستراتيجية شاملة تبنتها الدولة في السنوات الأخيرة من أجل نشر الثقافة الرقمية ومضاعفة القدرة على استخدام التكنولوجيات الحديثة للاتصال والمراهنة على انخراط المجتمع التونسي في مجتمع المعلومات من خلال عديد الإجراءات التي تشجع على امتلاك هذه التكنولوجيات وتوظيفها في كافة الميادين.
- إن الشباب التونسي شديد الارتباط بالعالم الافتراضي وقد تسنى لنا التأكد من ذلك من خلا ل ما استعرضناه من مؤشرات إحصائية تتعلق باستخدامات الانترنت في السكن العائلي والجامعة وبالتوقيت الذي يخصصه الشاب التونسي لارتياد الفضاءات العمومية للانترنت والعضوية في الشبكات الاجتماعية الافتراضية .
- تمثل المجتمعات الافتراضية بالنسبة للشاب التونسي فضاء أكثر حرية من المجتمع الحقيقي ففيها يشعر بالاستقلالية والأمان وفيها يمكن أن يعبر عن مشاغله وفيها يمكن أن يتعرف على أشخاص لا يمكنه التعرف عليهم في الواقع وفي المجتمع الافتراضي يمكن أن يتواصل ويدردش وينفتح على الثقافات الأخرى. إن هذه المجتمعات الالكترونية الخيالية هي في خلاصة القول متنفسا، والقول يعود إلى أحد المستجوبين في العينة، لتجاوز كافة السلط الاجتماعية التقليدية المتسمة بالقهر والتسلط ومناسبة للتحرّر من كل ضوابط

الرقابة الذاتية وعمليات القمع التي تمارسها الأسرة أو المدرسة أو الجيران أو زملاء الدراسة .

- إن المفارقة الكبرى في نتائج هذه الدراسة الميدانية والتي هي في حاجة إلى مزيد الدراسات ومزيد من التعمق هو أن الشاب التونسي يعي جيدا أن المجتمع الافتراضي هو في جزء كبير منه ينبني على الخيال ولا يتوافق مع المجتمع الواقعي وفي مقابل ذلك نجده ينساق انسياقا إلى العالم الالكتروني من خلال العضوية في الشبكات الاجتماعية الافتراضية ومن خلال تعامله مع أصدقاء غير واقعيين والتفاعل معهم (دون حذر أو تحرّج) ومن خلال "إدمانه" على الدردشة والتحاور مع الآخرين.

قد يكون السبب في هذه المفارقة أن الشاب التونسي بصفة خاصة والعربي بصفة عامة يبحث من خلال العوالم الافتراضية عن قناع للتخفي وراءه من أجل التعبير عن مشاغل قد يعجز عن التصريح بها في الحياة اليومية ومن أجل تلبية حاجات نفسية كامنة في أعماقه. إن القدرة على «التخفي» أو إدراك بأن عيون الآخر لا تحاصره قد تزيد في رغبة الفرد على الإدمان و الولوج في هذه المجتمعات الخيالية.

من هذا المنطلق ينساق الشاب العربي لرسم ما نعبر عنه «أحلام اليقظة» التي تراوده. ففي غرف المحادثات بشكل خاص يمكن لهؤلاء الشباب أن يلعبوا أدواراً متنوعة، ينزعون عن أنفسهم أسماءهم ويتبنّون ألقاباً تُعرّف بهم ويتحررون من كل ضوابط الرقابة الذاتية وعمليات القمع التي يمارسها المجتمع عليهم. و"كما تُبنى «الصداقات» في العالم الافتراضي سريعاً فإنها تنتهي بكبسة زر، يكفي أن يقرر المرء أن ينسحب، ويقفل جهاز الكمبيوتر ليدخل «عتمة

النسيان»، سيسأل عنها أعضاء مجموعته لبعض الوقت ثم ينسون أنه «وُجد» بينهم وفق ما قال الباحث الفرنسي مايكل ستورا"[1].

إن انسياق الشاب التونسي إلى فضاءات افتراضية بوسائطها الجديدة قد أدت شيئا فشيئا إلى انكماش وسائل الاتصال التقليدية، وتراجع دورها الممتد الذي ساد إلى زمن ليس بالبعيد. لكنّ هذا الاستبدال لم يتمّ للأسف بطريقة تدريجيّة، بل حدث بطريقة مباغتة، " لم تكن البنى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية مهيأة لاستيعاب رموزها وقيمها الجديدة. فكان حلول هذه الثقافة الجديدة "حلولا يشبه السّطو على السّائد ممّا هو محلّي في الثّقافة والمجتمع. يحدث هذا، في اللحظة التي ما تزال فيها المجتمعات العربية والمجتمع التونسي كذلك، تستهلك قيما ما قبل حداثية (Pré-moderne) من قبل هيمنة الجماعي على الفردي، ولو بصورة متفاوتة بحسب السّياقات المجتمعية "[2].

إنّ هذا البعد "الإسقاطي" المباغت، المتعالي على المجتمع، يؤثر في الروابط الاجتماعية السائدة، ويربكها، ويخلق روابط اجتماعية جديدة موسومة بالافتراضي، تتعايش بشكل "ورمي" مع المنظومة الثّقافية المحلية، فتولد نسقا ثقافيا متوترا، يتأرجح بين الانغماس في المحلي بأصالته، والانكماش عليه، والانفتاح على واقع فوق الواقع، خارق للواقع، مشحون بثقافة هجينة خارجة عن سياقاتها" [3] .

---

[1] بيسان طي.- فايسبوك وأخواتها... أو ماذا تقول عنا الشبكات الاجتماعية الإلكترونية.- جريدة الأخبار اللبنانية. - السبت ٩ شباط ٢٠٠٨. - مقال متوفر على الرابط التالي : -http://www.al-akhbar.com/ar/node/63153

[2] الجموسي (جوهر) .- مرجع سابق.- ص 158

[3] المرجع السابق.- ص 158

وقد أدى هذا التدخل المفاجئ للوسيط الرقمي الالكتروني إلى ضمور أشكال التبادل الاجتماعي، وما فيه من تفاعلات رمزية تستند إلى العلاقات الاجتماعية المباشرة. إن هيمنة الافتراضي على التقليدي في الاتصال لدى الشباب التونسي قد حمل معه نزعة تفكك الروابط الاجتماعية التقليدية، التي بدأ يكتسح الرقمي بعض مساحاتها. إن هذه النزعة تلوح بمؤشرات ظاهرة "الفردانية"، التي تطغى شيئا فشيئا على الجماعي بعد أن كان يحكم تماسك المجتمعات العربية. فالعلاقات الاجتماعية، التي كانت سائدة في هذه المجتمعات، تختزل الآن في العلاقة بالآلة، ومن خلالها، وما قد يعنيه ذلك من ضمور للاجتماعي، والعجز عن انتاجه بالتفاعل بنفس ما كان يحدث سابقا. الاجتماعي، في مثل هذا السياق، يفسح المجال لما بعد الاجتماعي، الذي يتعالى على التفاعل والتبادل والالتقاء المباشر بواسطة التقني، ويحيل إلى صعوبة توليد الاجتماعي. وهو ما فتح المجال للفرد ليتعلق داخل مساحاته الحميمية والشخصية، ويدير ظهره أحيانا للمساحات الاجتماعية والعامة. فما الحاجة إلى تكبد مشقة ولوج الاجتماعي، ما دامت التقنية تحمله إليه (الفرد) فتختصر الزمان والمكان، وما دام ال"عن بعد " يصبح قريبا على مرمى اليد ؟ [1]

[1] الجموسي (جوهر) .- مرجع سابق.- ص 159.

قائمة المراجع :

1. الجموسي (جوهر).– المجتمع الافتراضي .– تونس : مطبعة نوفا برنت، 2007.

2. العموش أحمد (فلاح) .– الوجود الاجتماعي في المجتمع الافتراضي، دراسة من منظور سوسيولوجي.– مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

3. الهماش (متعب بن شديد بن محمد) .– تشكيل الرأي العام الالكتروني.– مداخلة بمؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15 / 17 مارس 2009.

4. الصادق الحمّامي.– المجال العمومي والفايس بوك.– جريدة الصحافة التونسية .– جوان، 2011
http://www.essahafa.info.tn/index.php?id=76&tx_ttnews[tt_news]=15027&tx_ttnews[backPid]=37&cHash=3bb0ed75b8 جوان 2011

5. الصادق رابح .– "إعلام المواطن": بحث في المفهوم والمقاربات. المجلة العربية للإعلام والاتصال (السعودية) العدد 6، 223–276، 2010.
http://sites.google.com/site/saddekrabah/Home/research-abstracts--arabic

6. بن سعود بن خالد (محمد).– تقنية الاتصال الحديثة بين القبول والمقاومة : المملكة العربية السعودية نموذجاً.– مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

7. بيسان طي.– فايسبوك وأخواتها... أو ماذا تقول عنا الشبكات الاجتماعية الإلكترونية.– جريدة الأخبار اللبنانية. – السبت ٩ شباط ٢٠٠٨. – مقال متوفر على الرابط التالي : http://www.al-akhbar.com/ar/node/63153

8. خلف علي الخلف .– الجمهورية العالمية الافتراضية : الفايسبوك الشبكة الأسرع نمواً وتأثيراً في الانترنت.– الحوار المتمدن، العدد: 2273 – 2008 / 5 / 6.–
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=133641

9. عبد الرحيم (محمد لطفي).–المجتمعات الافتراضية والسبل الكفيلة بتطويرها.– مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، 15-17 /3/ 2009

10. عبد اللطيف (سنية).– استخدامات المدونات الالكترونية في تونس .– تونس : رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار تونس، 2012.

11. عبد المجيد (محمد) .– الاتصال والإعلام على شبكة الانترنت.– القاهرة : عالم الكتب، 2007.– ص 262 – 263.

12. Alain Degenne, Michel Forsé.- Les réseaux sociaux.- Paris : Armand Colin , Collection U , 2004.-

13. Jérôme Genevray.- Facebook : les secrets.- Paris : Micro application , 2012.-

14. Rheingold, Howard.- Les communautés virtuelles (Trad. de l'anglais par Lionel Lumbroso). Paris: Addison-Wesley France, coll. Mutations technologiques, 1995 .